الفصل السَّادس
الحِـجَامَة

المبحث الأول
الحِجَامَة في السنَّة النبويَّة

*** تعريف الحِجَامَة:**

الحِجَامَة لغةً: من الحَجْم بفتح الحاء وتسكين الجيم، وتعني: المَصَّ، وإنّما سُمِّي بها لأنّه يمصُّ الدَّم بعد القطع[1] .

الحِجَامَة في الاصطلاح: « إخراج الدَّم من الجسم بتشريط الجِلْد »، والحِجَامَة وسيلة قديمة كانت تستخدم لعلاج معظم الأمراض؛ لأن الناس كانوا يجهلون أسباب الأمراض، وكانت الوسائل العلاجيَّة محدودة جدًّا، وقد تجرى الحِجَامَة باستخدام العَلَق الذي يوضع على الجِلْد فيمُصُّ الدَّم، وقد تجرى الحِجَامَة ـ أيضًا دون تشريط الجِلْد، وذلك باستخدام كئوس فارغة تسخَّن من باطنها لخلخلة الهواء وإحداث ضغط سلبي بداخلها، ثم توضع على مناطق مختارة من الجِلْد فتجذب الدَّم في العروق إلى موضع الحِجَامَة، وهي طريقة تساعد في تخفيف الوجع، وتعالج بعض الأوجاع الموضعيَّة؛ مثل: التهاب العضلات، والتهاب المفاصل ونحوهما.

وفي العصر الحديث عاد الاهتمام بمثل هذه الطرق القديمة من العلاج، فيما يعرف بالطبِّ الطبيعيِّ أو الطبِّ البديل الذي أنشئت له في أنحاء متفرِّقة

(١) خير الكلام في التقصِّي عن أغلاط العوام، علي بن لالي بالي القسطنطيني الحنفي، ص٢٩.

obeikandl.com

من العالم عيادات متخصِّصة، أخذ روَّادها يتزايدون يومًا بعد يوم، وبخاصة بعد اكتشاف الأضرار الجانبيَّة الخطيرة لكثير من الأدوية الكيميائيَّة، وتحول كثير من الأطبَّاء عن الأدوية المصنَّعة إلى المعالجات الطبيعيَّة(١).

وقد تعددت الأحاديث في فضل الحِجَامَة وصحَّة التَّداوي بها، ومنها :

١. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [**الشِّفَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، وَكَيَّةِ نَارٍ ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ**](٢).

٢. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَجْرِ الْحَجَّامِ فَقَالَ احْتَجَمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ ، وَأَعْطَاهُ صَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ ، وَكَلَّمَ مَوَالِيَهُ فَخَفَّفُوا عَنْهُ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [**إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحِجَامَة...**](٣).

٣. عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أنه عَادَ الْمُقَنَّعَ ثُمَّ قَالَ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى تَحْتَجِمَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [**إِنَّ فِيهِ شِفَاءً**](٤).

٤. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [**احْتَجَمَ فِي رَأْسِهِ**](٥).

٥. وعنه أيضًا قَالَ : [**احْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ صَائِمٌ**](٦).

---

(١) الموسوعة الطبِّيَّة الفقهيَّة، د. أحمد محمد كنعان، ص٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٦٩٦) ، ومسلم (١٥٧٧) .

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٦٩٧) ومسلم برقم (٢٢٠٥) .

(٥) أخرجه البخاري برقم (٥٦٩٩).

(٦) أخرجه البخاري برقم (٥٦٩٤).

٦. وعنه أيضًا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [احْتَجَمَ ، وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ ، وَاسْتَعَطَ][(١)].

٧. وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلامًا حَجَّامًا فَحَجَمَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ أَوْ صَاعَيْنِ، أَوْ مُدٍّ أَوْ مُدَّيْنِ، وَكَلَّمَ فِيهِ فَخُفِّفَ مِنْ ضَرِيبَتِهِ][(٢)].

فالحِجَامَة إذن سنَّة نبويَّة عظيمة، حثَّ عليها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر أن فيها شفاء.

وقد يقول قائل: إن أحاديث فضل التَّداوي بالحِجَامَة تعرقِل التقدم العلمي، وتدعو إلى الوقوف عندها، وعدم البحث عن أساليب علاجيَّة جديدة.

وهذا قول يفتقد إلى دليل يثبته، بل هو من قبيل التخبُّط العقلي، وبناء نتائج توافق الهوى على مقدِّمات غير صحيحة.

فلم يَنْهَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التَّداوي بشيء غير الحِجَامَة ما دام مباحًا لا يخالف أصول الدِّين، ولو نظر هؤلاء إلى هذه الأحاديث لوجدوا أنواعًا أخرى من العلاج؛ فقد قرن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين التَّداوي بالحِجَامَة والتَّداوي بالعسل في أكثر من حديث صحيح، مثل حديث ابن عباس السابق، وجاء فيه: [الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةٍ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ][(٣)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٦٩١) ومسلم برقم (١٢٠٢)، و(استعط): أي استعمل السَّعُوط ، وهو الدَّواء الذي يُصَبُّ في الأنف.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٢٨١).

(٣) سبق تخريجه .

والتَّداوي بعسل النَّحل أمر واضح ومعترف به في المراكز الطبِّيَّة الغربيَّة وغيرها، فلماذا التفريق بين المتماثلين إذن، فما المستند والبرهان الذي اعتمد عليه هؤلاء حتى يفرِّقوا بين التَّداوي بالعسل، والتَّداوي بالحِجَامَة، خاصَّة وقد أثبت العلم الحديث -كما سيرد بعد قليل- ما للحِجَامَة من فوائد طبِّيَّة كثيرة ومتعدِّدة ؟![1].

ونحن حين ندافع عن أحاديث الحِجَامَة لا ندَّعي أن السنَّة النبويَّة موسوعة طبِّيَّة، لأنه من المعلوم أن القرآن وكتب السنَّة المشرفة ليست كتب طب أو هندسة أو زراعة أو نحو ذلك من العلوم التجريبيَّة، إلا أنها قد حوت قبسًا من هذه العلوم، للتدليل على مصدرها الإلهي، وهذا القدر الذي حوته كافٍ في تحقيق ذلك.

ويتمثَّل الإعجاز في أن العلم يأتي بعد قرون عديدة ويثبت صحة ما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حقائق علميَّة لم تكن معروفة يوم أن نطق بها، وهذا يُعَدُّ دليلًا واضحًا على أن السنَّة وحي من عند الله، وأن ما نطق به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حقائق علميَّة رغم أمِّيته دليل على نبوَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب على الأمَّة أن تصدِّق بها بدلًا من أن تنساق وراء من يختلق الأعذار والحجج الواهيَّة لإنكارها.

وكيف تحارِب السنَّةُ التقدُّمَ العلمي والأحاديث الصحيحة التي تبيِّن قيمة العلم، وتحثُّ عليه، وتُعلي من شأن العلماء كثيرة جدًّا.

وقد تيقَّن علماء المسلمين قديمًا بفضل الحِجَامَة، وقدرتها على شفاء كثير من الأمراض، فعملوا على حثِّ المسلمين على اتِّباعها والتَّداوي الدائم بها، من

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في سنة النبي الأمي حمدي عبد الله الصعيدي ص٩٥٤، ٩٥٥.

خلال إجراء التجارب عليها، وذكر فوائدها التي توصَّلوا إليها. وذلك بسبب تيقُّنهم التامِّ أن تواتر أحاديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في بيان فضل الحِجَامَة والتَّداوي بها وبيان قدرتها على الشِّفاء من أمراض كثيرة ومتنوعة -بإذن الله- لدليل قاطع على أن للحِجامة منافع طبِّيَّة جليلة، وفوائد صحيَّة عظيمة ومتنوعة، ذلك ما أدركه علماء الأمَّة قديمًا، وأثبته علماء الطبِّ المحدَثون وأقرُّوه.

ولقد تحدَّث ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ عن المنافع الطبِّيَّة للحِجَامَة بقوله: « إنها تنفع من أمراض الرأس، وأجزائه، كالوجه والأسنان، والأذنين، والعينين، والأنف، والحلق إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدَّم أو فساده، أو عنها جميعًا.

والحِجَامَة تحت الذِّقن تنفع من وجع الأسنان والوجه والحلقوم، إذا استعملت في وقتها، وتنقي الرأس والفكَّين.

والحِجَامَة على ظهر القدم تنوب عن فَصْد الصَّافِن، وهو عرق عظيم عند الكعب، وتنفع من قروح الفخذين والساقين، وانقطاع الطَّمث، والحَكَّة العارضة في الأنثيين.

والحِجَامَة في أسفل الصدر نافعة من دماميل الفَخِذ، وجَرَبِه وبُثوره، ومن النّقرس والبواسير، والفيل وحَكَّة الظَّهر »[1].

ومما سبق يتَّضح إدراك علماء الطبِّ قديمًا لفوائد الحِجَامَة ومنافعها الطبِّيَّة في التَّداوي من أمراض كثيرة ومتنوعة، وبعد أن أكدنا أن الحِجَامَة مبدأ من مبادئ الإسلام الحنيف – إن جاز لنا التعبير – نسوق رأي الأطبَّاء حديثًا عن الحِجَامَة، لاسيما أطبَّاء الغرب غير المسلمين، وذلك من خلال تجاربهم عليها.

****

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، (١٦١\١٠).

المبحث الثَّاني
الحِجَامَة في الطِّبِّ الحديث

من الأبحاث التي أجريت على الحِجَامَة: بحث للبروفيسور الفرنسي (كانتيل)، وقد أثبت فيه أثر الحِجَامَة في زيادة مادة "الإنترفيرون"، والتي تمتاز بمفعولها القوي ضد الفيروسات مما يفيد في علاج الالتهاب الكبدي الفيروسي وغيره.

وأجريت في جامعة دمشق أكبر دراسة علميَّة منهجيَّة على الحِجَامَة، وذلك عام ٢٠٠١م، اشترك فيها خمسة عشر أُستاذًا جامعيًّا متخصِّصًا وخلصوا إلى العديد من فوائدها مثل :

١- إعادة الضَّغط إلى حدوده الطَّبيعيَّة.

٢- انخفاض في سرعة الدَّم (مما يقي من الجلطات) مع اعتدال تعداد كرات الدَّم الحمراء.

٣- ارتفاع عدد الكرات البيضاء في (٥٢ ٪) من الحالات إلى الحدود الطبيعيَّة، وارتفاع عدد تكتل الكرات في الأمراض الرئويَّة في (٤٧٪) من الحالات.

٤- ارتفاع عدد صفائح الدَّم إلى الحدود الطبيعيَّة في (١٠٠٪) من حالات النقص على الحدود الطبيعيَّة، وانخفضت عدد تلك الصفائح في (٥٠ ٪) من الحالات التي تعاني ارتفاعا فيها.

٥- انخفاض نسبة السُّكَّر عند (٨. ٧٥ ٪) من الحالات.

٦- انخفاض كميَّة حمض البول بالدَّم في (٦٦.٧٪) من الحالات.

٧- زيادة نشاط الكبد مما يترتب عليه انخفاض خميرة الكبد عند المصابين بارتفاعها في (٨٠ ٪) من الحالات.

٨- انخفاض نسبة الشُّحوم الثُّلاثيَّة عند المصابين بارتفاعها بنسبة (٧٥٪) من الحالات.

٩- وفيما يتعلَّق بأمراض الجهاز الهضمي، فقد أثبتت الأبحاث قدرة الحِجَامَة على الشِّفاء من مرض الالتهابات وقرحة المعدة، والإمساك، والإسهال، والقولون العصبي، والتهابات الكبد الفيروسي، والتهابات المرارة، وغيرها.

١٠- وتعالج من أمراض القلب قصور الشريان التاجي.

١١- كما أنها تعالج ما يتعلَّق بالجهاز التنفسي، مثل التهاب الشُّعب المزمن، وحساسيَّة الصدر (الأزمة الرَّبْوِيَّة)، والتهاب الجيوب الأنفيَّة .

١٢- وما يتعلَّق بالأمراض الجِلْديَّة، فقد أثبتت الأبحاث العلميَّة ما للحجامة من فوائد في التَّداوي من أمراض الثعلبة والبهاق (البرص) والصدفيَّة وغيرها.

١٣- وتعالج ما يتعلَّق بأمراض العظام والعمود الفقري، مثل خشونة الغضاريف والمفاصل الطرفيَّة ومرض النقرس.

١٤- وما يتعلَّق بأمراض المناعة الذاتيَّة، فقد أثبتت التجارب والأبحاث العمليَّة المتطورة قدرة الحِجَامَة على علاج مرض الروماتيد، ومرض الذئبة الحمراء.

١٥- وما يتعلَّق بأمراض المخِّ والأعصاب؛ فالحِجَامَة مهمَّة في علاج أمراض (الشَّلل النِّصفي ، والصُّداع ، وخاصَّة الصُّداع الدَّموي ، وضمور المخِّ ، والتخلُّف العقلي ، والصَّرع).

١٦- ما يتعلَّق بأمراض ضغط الدَّم المرتفع، وأمراض السُّكَّر؛ فإن الأبحاث أثبتت أن الحِجَامَة لها أثر كبير في الشِّفاء منهما.

١٧- كما أن الحِجَامَة لها قدرة عظيمة في الوقايَّة من السَّرطان وعلاجه.

١٨- بدأت أوروبا وأمريكا بتدريس الحِجَامَة والتَّداوي بها في مناهج الطبِّ الأمريكيَّة والأوربيَّة تحت اسم (cupping therapy)، وتبيَّن أن لها تأثيرًا واضحًا في تحسين وظائف الكبد، وعلاج بعض أمراض الأنف والأذن والحنجرة، وعلاج البدانة، والأمراض المتعلِّقة بضعف البدانة [١].

١٩- ومن فنلندا كتب كل من (O.Hanninen) و(Vaskilampi T.) معتبرين الحِجَامَة الرَّطبة شكلًا من الطبِّ التقليديِّ الفِنلنديِّ في العلاج من آلام الأسنان المستمرَّة والنَّوبيَّة، ولعلاج آلام الرأس والرقبة والكتفين والظهر، كما أفادت في معالجة ارتفاع الضَّغط الدَّموي وعدد من الجلادات المزمنة، ويستحسن إجراؤها بعد مساج للمنطقة أو بعد حمام ساونا ساخن.

٢٠- في مستشفى (Tianjin) أجرى البروفسور (Zang z) دراسة على تأثير الحِجَامَة المبزغة[٢] لمعالجة (٤٥) مريضًا مصابين بالتهاب حادٍّ في العصب مثلث التوائم مع مقارنتها بالطُّرق العلاجيَّة المألوفة، لم يجد الباحث أي علاقة مميزة للحجامة في التأثيرات المسكِّنة المؤقَّتة عن العلاجيَّة المعروفة، لكن وجد امتيازات واضحة في النتائج النهائيَّة العلاجيَّة للحِجَامة عن مجموعة الشاهد التي عولجت بالطرق الدوائيَّة، وهذا يشير إلى أن الحِجَامَة المبزغة طريقة علاجيَّة فعالة للمصابين بهذه الآفة.

٢١- وعن خلاصة لدراسة أمريكيَّة يكتب د. الحسيني: أن التهاب الكبد الفيروسي في حالاته الشديدة يزيد من القابليَّة للإصابة بسرطان الكبد،

---

(١) "دعوى إنكار أحاديث فضل الحِجَامَة والتَّداوي بها"، مقال منشور بموقع: بيان الإسلام، http://bayanelislam.net

(٢) هي الحجامة التي يتم فيها إخراج الدَّم بتشريط مكان الحجامة الجافة.

وتضيف الدِّراسة أن نسبة حدوث هذا السَّرطان عند الرجال حوالي (٧٤٪)، بينما تنخفض النِّسبة عند النساء إلى حوالي (٦٪)، واعتبرت الدِّراسة أن أهم أسباب هذا الفارق الكبير في نسبة الإصابة بسرطان الكبد بين الجنسين هو تميز النساء بالمحيض، معتبرين أن خروج دم الحيض ينقِّي الجسم، ويريح الأعضاء وكأنه حجامة طبيعيَّة ربانيَّة.

*** وماذا بعد؟**

إن العلاجَ بالحِجَامَة أمرٌ متأصِّلُ في الدِّين الإسلامي، وقد أصبح الآن ضمن مقرَّرات الدِّراسة في جامعات الغرب، وما أكَّده الباحثون من أن بعض مستشفيات أوروبا وأمريكا تعتمد على الحِجَامَة كأحد أنجح الأساليب العلاجيَّة، وهذا يدلُّ على عظمة سنَّة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يوجب الاعتقاد الجازم بأن هديه خير الهدي، وإرشاده في كل المجالات هو أفضل إرشاد، وليس علينا بعد ذلك إلا التَّصديق والإذعان، والعودة إلى ما أمرنا به ربُّنا سبحانه وما أرشدنا إليه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

****